الطَّبعَةُ الأولى

١٤٣٥ هـ - ٢٠١٣ م

ISBN 978 - 9948 - 499 - 91 - 6

حُقوقُ الطَّبعِ مَحفُوظَة

لدائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري بدبي
إدارة البحوث

هاتف: ٦٠٨٧٧٧٧ ٤ ٩٧١+
الإمارات العربية المتحدة
mail@iacad.gov.ae

فاكس: ٦٠٨٧٥٥٥ ٤ ٩٧١+
ص. ب: ٣١٣٥ - دبي
www.iacad.gov.ae

الإخراج الفني
حسن عبد القادر العزاني

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد للّه، وصلى اللّه وسلَّم على رسول اللّه، وعلى آله وصحبه ومَنْ والاه. وبعد:

فآياتُ اللّه عز وجل تعلّمنا وتفهّمنا، وترتفعُ بنا إلى مستوى الفهم عن اللّه سبحانه وتعالى، ومِنْ أعظمِ مراتبِ الإنسان في هذه الدنيا أنْ يفهمَ عن ربِّه، والقرآنُ الكريمُ جاء ليرتفع بنا إلى هذا المستوى، فالقرآنُ الكريمُ خطابُ اللّهِ الخالقِ الرازقِ القادرِ الحكيمِ إليك أيها الإنسانُ الجاهلُ الغافلُ العاجزُ القاصرُ المقصِّر، هذا الخطاب لكَ ليرتفعَ بك إلى مستوى الإنسانية، وإلى مستوى العلم، وإلى مستوى الفهم الذي أراده اللّهُ عز وجل لك، فبدون هذا القرآن تتردّى في دركاتِ العجزِ والقهرِ والجهلِ وعدم الإنصاف، ولكن إذا رجعتَ إلى كتاب اللّه ارتفعَ بك لتكون إنساناً حقاً، وإذا أصبحتَ إنساناً حقّاً كان لابُدَّ أن تكون مسلماً حقّاً، لأن الإنسانية والإسلام لايفترقان أبداً، القرآنُ الكريمُ كلام اللّه الذي لايشبعُ منه العلماء، فإذا أردتَ أن تكون عالماً فاقرأ القرآن، وإذا أردتَ أن لا تشبعَ من القرآن فإنَّ عليك

أن تكون عالماً، لتقرأ السطور وما وراء السطور، ولترى كيف يحدِّثكَ القرآنُ عن التاريخ المُغْرِق في القِدَم، ما وراء ملايين السنين، وماذا كان في الأزل يوم بدأ الإنسان، وماذا كان في زوايا التاريخ مِنْ قصص الأقوام والأُمم، والأنبياء والمرسلين، والحكماء، وماذا مضى على ظهر هذه الأرض مِنْ دولٍ وحضاراتٍ ذهبتْ وانتهتْ وانقرضتْ، ولم يبق لها مِن أثر، أو لم يبقَ لها إلا أطلالٌ عابرةٌ تحكي شيئاً من ذلك التاريخ.

القرآنُ الكريمُ ينتقل بك مِن ملايين السنين إلى لحظتك التي أنتَ الآن فيها، فهو يجيبُك على تساؤلاتك عندما تخلو إلى نفسك -أيها الإنسان- وتسأل: مَن أنا؟ وما أنا؟ وكيف جئتُ؟ و إلى أين أمضي؟ أين الآباء؟ ما مصيرهم؟ ما مصيري أنا؟ كيف خُلقت؟ كيف نُفخت فيَّ الروح؟ كيف كُونت؟ كيف جئت؟ما هذا العقل الذي فيَّ؟ كيف أفكِّر؟ ما هذا القلب الذي فيَّ؟ ماهذه العواطف التي أشعر بها؟ لماذا أحب فلاناً؟ لماذا أكره فلاناً؟ ما هذه الأحاسيس؟ ما هذه المشاعر؟ لماذا أنام؟ وكيف أستيقظ؟ أين تذهب نفسي وأين

تعود؟ ما هذه الأحلام التي أحلم بها؟ ما هذه المرائي التي أراها؟ ما هذه المشاعرُ التي أحسُّ بها؟ لماذا أنا أجوع؟ ولماذا أشعرُ بالشبع؟ كيف أتذوَّق الأطعمة والأشربة؟ كيف أشمُّ الروائح؟ كيف أسمعُ الأصوات؟ كيف أميِّز الإنسان؟ كيف أختزنُ في ذاكرتي ملايينَ الصور؟ كيف أميِّز بين آلاف الأطعمة و الأذواق؟ كيف يحصلُ كل هذا؟

**ثم بعد هذا:**

كيف سيكون الرحيل؟ ومتى؟والى أين؟ وماذا سأرى في رحلتي؟ في برزخي؟ في آخرتي؟ ما مصيري؟ ما مصير أبنائي؟ ماذا بعد؟ ما نهاية الدنيا؟ ما قصة القبر؟ما حكاية الآخرة؟

كل هذه الأسئلة - وأنت تسألُ نفسَك عنها، وأنت تُسائل نفسَك بها في لحظةٍ من اللحظات حين تخلو وحدك - مَنْ الذي يستطيعُ أنْ يُجيبَك عنها، ويُجيبَك بالحقِّ والحقيقة والصدقِ التامِّ الذي لاشكَّ فيه ولا ريبَ فيه؟ مَنْ الذي يملك الإجابات عن كل هذا؟

**الجواب: القرآن الكريم.**

ولكن إذا فهمناه حقَّ الفهم، وإذا تعاملنا معه كما ينبغي أنْ يُعامَل، القرآن لا يُقرأ كأي كتابٍ، ولا يُنظر إليه نظرةً عادية، ولا يُتابع كما تُتابَعُ نشرة الأخبار، ولا يُعامَل كما تُعامَل الصحيفة، لا،

القرآن كلامُ اللّه الخالق الرازق العظيم المقتدر الحكيم.

**فيا أيها الإنسان:**

ما أعظمَ خسارتك إذا خرجتَ من هذه الدنيا وأنتَ لم تعرف اللّه، وأنتَ لم تفهم خطاب اللّه، وأنتَ لم ترتفع إلى مستوى إنسانيتك، وإلى مستوى إسلامك.

ما أعظمَ خسارتك إذا رحلتَ من هذه الدنيا وأنت لم تتزوَّد من هذا العلم، ومن هذا العمل الذي يضمنُ لك النجاةَ والسعادة في الآخرة، والترقّي في مراتب الجنان في درجات الآخرة؟

كم ستندمُ عندما تأتي هناك وترى العلماءَ العاملين كيف ارتفعوا في درجات الجنة حتى إنَّ بعضَهم ليُرى كما نرى الآن النجمَ في السماء... المراتبُ متفاوتةٌ على حسب تفاوتنا في هذه

الدنيا، يتراءى أهلُ الجنة بعضَ الناس كما يتراءى الإنسانُ النجمَ في هذه الدنيا، فأين تريدُ -أيها الإنسانُ- أن تكون منزلتُك؟ وأين تريد أن تكون درجتُك؟ أين تريد أن يكون موقعُك وقربُك من الله سبحانه وتعالى؟

ما أعظمَ خسارةَ الإنسان إذا خرج من الدنيا وهو جاهلٌ، وهو غافلٌ، وهو قاصرٌ، وهو مقصِّر، وهو في حُجب الدنيا والشهواتِ والآفاتِ والسيئاتِ والذنوبِ والمعاصي.

ما أعظمَ خسارةَ هذا الإنسان؟!

**فيا أيها المسلم:**

عُدْ إلى كتاب الله واقرأه كما ينبغي، كما ينبغي حقاً، وتعرَّف إلى الله من خلال هذا الكتاب الذي فيه الآيات، و المعجزات.

فيه التحذيرُ والتنذيرُ.

فيه العلمُ النافع.

فيه المعرفةُ الحقيقية.

فيه الإجاباتُ عن الأسئلة التي يَسأل الإنسانُ بها نفسه.

والله عز وجل كرَّر قوله: ومن آياته... ومن آياته... ومن آياته... فمن الواجب علينا ونحن نتعامَلُ مع هذا الكتاب أن نحسن التعامل مع هذه الآيات قراءةً وفهماً وتعمقاً وعبرةً ومغزى.

وأن نحسن التعامل مع هذا الخطاب:

أن نتعرف يوماً إلى خطاب الله إلى الناس عندما يقول لنا: (يا أيها الناس).

وفي مرة أخرى يجب علينا أن نتعرف إلى خطاب الله وهو ينادي الذين آمنوا: (يا أيها الذين آمنوا).

ومرة أخرى يجب علينا أن نتعرف إلى خطاب الله وهو يخاطب النبي ﷺ: (يا أيها النبي ). وهكذا...

والعلم الذي في كتاب الله يستغرقُ الأعمار، ويأتي بالأنوار، ويكشفُ الحجب والأستار، ويُذْهب الأكدار، وينوِّر لك الليل والنهار...

خطاب الله للإنسان، وخطابه للأنبياء، وخطابه للذين آمنوا.

كلام الله عن الرجل، وكلامه عن المرأة، وكلامه عن الطفل.

كلام الله عن الجنة. وكلامه عن النار.

كلام الله عن الماضي، وعن الحاضر، وعن المستقبل.

كل هذا في ثنايا هذا الكتاب الذي لا نقرأه حق قراءته، ولا نفهمه حق فهمه، والذي لا نقبل عليه كما ينبغي.

ربما قرأناه طلباً للثواب، ولا بأس بهذا، ولكننا إذا اقتصرنا على طلب الثواب فقط فكأننا عطلنا كتاب الله سبحانه وتعالى الذي جاء إلينا ليغيِّرَنا، وليرتفعَ بنا، وليعلِّمَنا، وليعيدَ صياغتَنا، وليصحِّحَ أفكارَنا.

نعم جاء بكل هذا، ومِن أجل كل هذا، فلا يجوز لنا أبداً أنْ نهمله، وأنْ نتغافل عنه، وأن ندعه، أو أنْ نقرأه قراءة سطحية لاتنفذ إلى أعماقه، ولا إلى أسراره، ولا إلى أنواره، لا يجوزُ لنا أبداً أنْ نقتني نسخةً من القرآن لنضعها على الرفِّ أو في المكتبة، ثم ننتظر رمضان لنقرأ القرآن، أو نختم ختمة واحدة وينتهي كلُّ شيء.

كم مِنَ المسلمين مَنْ لايعودُ إلى القرآن إلا في رمضان.

كم مِنَ النساء مَنْ تشغلها الحياةُ الدنيا أو متطلباتُها أو شهواتُها فهي مشغولةٌ بكل شيء إلا بهذا الكتاب؟.

كم مِنَ النسوة المسلمات مَنْ لا تفتحُ كتابَ اللّه في السنة إلا مرةً أو مرتين؟

هل في بيوتنا يا تُرى رجلٌ زوجٌ يقيم حلقة قرآنية للتلاوة وللتفسير وللفهم وللمدارسة في كتاب اللّه سبحانه وتعالى؟ يقول: تعالي يا امرأة، تعالوا أيها الأولاد لنتدارس كتاب اللّه فيما بيننا، لنرى حقاً ماذا يريدُ اللّهُ عز وجل منا، وما الذي أمرنا به، وما الذي نهانا عنه، وما الذي حضَّنا عليه، وما الذي حذَّرنا منه، وهكذا هكذا نرتفعُ بمستوانا وبأنفسنا.

إذن - أيها الإخوة - كتابُ اللّه أمانة بيننا، ودَيْنٌ في رقابنا، ورسالة من اللّه إلينا.

أنت - أيها الإنسان - تأتيك رسالةٌ من أبٍّ، أو أمٍّ، أو من حبيبٍ، أو عزيزٍ، وإذا بك تقرأها مرةً ومرتين وثلاث مرات، وربما حفظتَها وأنت تكرِّرها، والقرآنُ الكريمُ رسالةُ اللّه الخالق الرازق إليك - أيها الإنسان - الذي يبيِّن لك ماذا لك، وماذا عليك، فإياكَ إياكَ أنْ تخرج من الدنيا وأنت جاهلٌ بهذه الرسالة التي هي سبيلُ النجاح

والفلاح، والتي هي الطريقُ المضمونُ لنيل رضا اللّٰه سبحانه وتعالى، والفوز بجنته، والمصير إلى دار كرامته، والعيش في مستقر رحمته.

**فيا أيها المسلم:**

هذا هو كتاب اللّٰه سبحانه وتعالى، فلا تغبنْ نفسَك، ولا تقصِّرْ بحق أسرتك، كنْ مسلماً حقّاً، وارتفع بمستوى إنسانيتك وإسلامك، واقرأ كتابَ اللّٰه كما ينبغي أن يُقرأ. نسألُ اللّٰهَ عز وجل أنْ يشرح صدورنا، وأن ينوِّر قلوبنا، وأنْ يرتفعَ بنا إلى مستوى الفهم عنه سبحانه وتعالى.

* * *

## أقوال في القرآن وعلومه

وأحب أن أختم هذه الرسالة ببعض أقوال جليلة لأئمة كبار في فضل القرآن وعلومه، فأقول:

**قال الإمام محمد بن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ):**

« إنّ من جسيم ما خصّ اللّهُ به أمةَ نبينا محمد ﷺ من الفضيلة، وشرَّفهم به على سائر الأمم من المنازل الرفيعة، وحباهم به من الكرامة السنية، حِفْظَهُ ما حفِظَ عليهم - جلّ ذكرُه وتقدَّستْ أسماؤُه - مِنْ وحيه وتنزيله، الذي جعله على حقيقة نبوة نبيهم ﷺ دلالةً، وعلى ما خصَّه به من الكرامة علامةً واضحةً، وحجةً بالغةً، أبانه به مِنْ كلِّ كاذبٍ ومفترٍ، وفصَل به بينهم وبين كلِّ جاحدٍ ومُلحِدٍ، وفرَقَ به بينهم وبين كلِّ كافرٍ ومشركٍ، الذي لو اجتمع جميعُ مَنْ بين أقطارها، من جِنِّها وإنسِها وصغيرِها وكبيرِها، على أن يأتوا بسورةٍ مِن مثله لم يأتوا بمثله ولو كان بعضُهم لبعضٍ ظهيرًا .

فجعله لهم في دُجَى الظُّلَم نوراً ساطعاً، وفي سُدَفِ الشُّبَه شهاباً لامعاً، وفي مضَلة المسالك دليلاً هادياً، وإلى سُبُل النجاة والحق حادياً،

﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة: ١٦].

حرسَهُ بعينٍ منه لا تنام، وحاطهُ بركنٍ منه لاَ يضام، لا تَهِي على الأيام دعائمُهُ، ولا تبيدُ على طول الأزمان معالمُهُ، ولا يجور عن قصد المحجَّة تابعُهُ، ولا يضلُّ عن سُبُل الهدى مُصَاحبُهُ. مَنْ اتبعه فاز وهُدِي، ومَنْ حاد عنه ضلَّ وغَوَى، فهو موئلهم الذي إليه عند الاختلاف يَئِلون، ومعقلُهم الذي إليه في النوازل يعقلون، وحصنُهم الذي به من وساوس الشيطان يتحصنون، وحكمةُ ربهم التي إليها يحتكمون، وفصْلُ قضائه بينهم الذي إليه ينتهون، وعن الرضى به يصدرون، وحبلُهُ الذي بالتمسك به من الهلَكَة يعتصمون.

**اللهم** فوفِّقنا لإصابة صوابِ القول في مُحْكَمِه ومُتَشابِهِه، وحلالِه وحرامِه، وعامِّه وخاصِّه، ومجمَلِه ومفسَّرِه، وناسخِه ومنسوخِه، وظاهرِه وباطنِه، وتأويلِ آيِه، وتفسيرِ مُشْكِلِه.

**وألهمنا** التمسُّكَ به والاعتصامَ بمحكمِه، والثباتَ على التسليم لمتشابهِه.

وأوزعنا الشكرَ على ما أنعمتَ به علينا مِنْ حفظهِ والعلمِ بحدوده. إنك سـميعُ الدعاءِ قريبُ الإجابة. وصلى اللّٰه على محمد النبي وآله وسلّم تسليماً ».

ثم حضَّ على فضل العلم به فقال:

« اعلمـوا عبـادَ اللّٰه - رحمكم اللّٰه - أنَّ أحقَّ ما صُـرِفت إلى علمه العنايـة، وبُلِغـت فـي معرفتـه الغاية، مـا كان للّٰه في العلم به رضًـى، وللعالِم به إلى سـبيل الرشاد هدى، وأنَّ أجمعَ ذلك لباغيه كتابُ اللّٰه الـذي لا ريب فيه، وتنزيله الذي لا مِرْية فيه، الفائزُ بجزيل الذخر وسنيِّ الأجر تاليه، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيلٌ من حكيم حَميد »(١).

**وقـال الإمـام عـلاء الديـن علـي بـن محمـد البغـدادي المعروف بالخازن (ت: ٧٤١هـ):**

« إنَّ اللّٰه جـلَّ ذكرُه ونفذ أمرُه أرسـل رسـولَهُ محمـداً ﷺ بالهدى وديـن الحـق ليظهـره علـى الديـن كلـه، رحمـةً للعالميـن، وبشـيراً

---

(١) جامع البيان عن تأويل القرآن (١/ ٥-٦).

للمؤمنين، ونذيراً للمخالفين، أكمل به بنيانَ النبوة، وختم به ديوانَ الرسالة، وأتـمَّ به مـكارمَ الأخلاق، ونشـرَ فضـلَه في الآفـاق، وأنزل عليه نوراً هدى به من الضـلالة، وأنقذَ به من الجهالة، وحكمَ بالفوز والفلاح لمن اتَّبعَه، وبالخسـران لمن أعرض عنه بعدما سمعَه، عجز الخلائـقُ عن معارضـته، حين تحداهم على أن يأتوا بسـورةٍ مِنْ مثله في مقابلته، ثم سـهَّل على عباده المؤمنين مع إعجازِه تلاوتَه، ويسَّـر علـى الألسـنِ قراءتَه، أمرَ فيه وزجرَ، وبشَّـر وأنـذر، وذكَرَ المواعظ ليُتَذَكَّرَ، وضـرَب فيـه الأمثال ليُتَدبَّـرَ، وقصَّ به من أخبار الماضـين ليُعْتَبرَ، ودلَّ فيه على آيات التوحيد ليتفكر.

ثم لم يرضَ منا بسرد حروفهِ دون حفظ حدوده.

ولا بإقامةِ كلماتهِ دون العمل بمُحكماته.

ولا بتلاوتهِ دون تدبُّر آياته في قراءته.

ولا بدراستهِ دون تعلُّم حقائقه، وتفهُّم دقائقه.

**ولا حصولَ لهذه المقاصد منه إلا:**

بدراية تفسيرِه وأحكامِه.

ومعرفةِ حلالِه وحرامِه.

وأسبابِ نزولِه وأَقسامِه.

والوقوفِ على ناسخه ومنسوخه في خاصِّه وعامِّه.

فإنه أرسخُ العلوم أصلاً، وأسبغها فرعاً وفصلاً، وأكرمها نتاجاً، وأنورها سراجاً، فلا شرف إلا وهو السبيلُ إليه، ولا خيرَ إلا وهو الدالُّ عليه »(١).

* * *

---

(١) لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢-٣).